الدراسات الأثرية

القيم الاجتماعية والبعد الفلسفي في ضوء النصوص المسمارية الادبية في بلاد الرافدين

المدرس الدكتورة

فاطمة عباس سلمان المعموري

جامعة الكوفة - كلية الاثار

م . باحث

علي عبد الحسين

جامعة الكوفة - كلية الاثار

القيم الاجتماعية والبعد الفلسفي في ضوء النصوص المسمارية الادبية في بلاد الرافدين

المدرس الدكتورة م . باحث

فاطمة عباس سلمان المعموري علي عبد الحسين

جامعة الكوفة - كلية الاثار جامعة الكوفة - كلية الاثار

**المقدمة:**

خلف لنا الكتاب والادباء والشعراء السومريون والاكديون والبابليون نتاجا ادبيا غزيرا يتسم بأصالته وقدمه وتنوع مواضيعه وقد وصلتنا نماذج متنوعة من مؤلفاتهم الادبية المدونة على الرقم الطينية، التي اكتشفت في المدن العراقية القديمة ومن اهمها مكتبة اشوربانيبال التي اكتشفت في نينوى في تل قوينجق وهي اكثر المواقع شهرة في هذا المجال ، وقد تناولت هذه النتاجات اقلام الباحثين والمحللين من المتخصصين والمهتمين بهذا الجانب ومن خلال النظر لهذه النتاجات الرائعة نجد كل عمل منها اشبه برسالة موجهة للأجيال الآتية من بعدهم تخبرهم وتعطيهم صورة واضحة عن المجتمع والعادات والاعراف والقيم والمظاهر الحضارية السائدة آنذاك،حملت بين سطورها اسمى وارقى المفاهيم والقيم الاجتماعية والحضارية ، يسلط هذا البحث الضوء على اهم القيم والمفاهيم الاجتماعية التي حملتها بعض النتاجات الادبية المشهورة في نصوص بلاد الرافدين ولاسيما نصوص ملحمة كلكامش وقصة الخليقة وبعض الاساطير الاخرى كأسطورة نزول الالهة عشتار الى العالم الاسفل واسطورة الاله نركال والطائر انزو واسطورة انليل وغيرها وقد تم اختيار بعض النماذج لهذه النتاجات ودراستها في بحثنا هذا، اذ تضمن ثلاث محاور تناول المحور الاول البعد الفلسفي والقيم الاجتماعية التي نقلتها لنا ملحمة كلكامش وما تضمنته من معلومات ومفاهيم وقيم حضارية رائعة ، في حين يسلط المحور الثاني الضوء على اهم المفاهيم والقيم الاجتماعية التي حملتها لنا قصة الخليقة واهم القيم الابعاد الاجتماعية المستوحاة من خلالها، وتناول المحور الثالث اسطورة نزول الاله نركال والالهة ايريشكيكال الى العالم الاسفل وما نقلته لنا من صورة عن المجتمع وافكاره ووضعه الاقتصادي والديني آنذاك وختم البحث بخلاصة موجزة عن اهمية الادب وتلك النتاجات الغزيرة واهميتها في عكس واقع المجتمع في ذلك الوقت باللغتين الانكليزية والعربية مع قائمة بأهم المصادر المعتمدة في البحث وختاما اتمنى ان نكون قد وفقنا بطرح بحثنا هذا وقد اضفنا معلومة جديدة للقاريء المتخصص في هذا المجال.

**ملحمة كلكامش وابعادها الفلسفية والاجتماعية** :

تعد هذه الملحمة من اهم الاعمال والنتاجات الادبية واروع ملحمة تاريخية تعكس لنا اجمل صورة عن واقع الحياة والمجتمع آنذاك ،وقد نقلت افكار وواقع حياة اناس عاشوا وتعايشوا في بلاد الرافدين ، وقدمت لنا مجموعة من القيم الاجتماعية بما تحويه مضامينها منها الاتي :

1. الرغبة اللامحدودة الى التوسع والتحرر من حدود المحدودية الى اللامحدودية ويتضح هذا من تتبع الملحمة واصرار كلكامش للقيام برحلته وعن مسار جلجامش الملحميّ والجهد البطولي لتخطـّي شرط «التناهي الإنساني أو قانون الضرورة إلى الحرية المطلقة»، وشوق جلجامش إلى المطلق يظهر بدءاً في ضيقه البادي و بمحدودية المكان والزمان وأجل الإنسان، وهذا الشعور بالانحباس أو الحصار الزماني هو أقوى الدوافع المحرّضة لكلكامش كي يجوز حدود المدينة ومحدودية العمر في رحلة أولى إلى غابة الأرز التي تتقدّم رحلة البحث عن الخلود ، فالوعي بمحدوديته أو تناهي الزمان والمكان هو سبب الشكوى الملتاعة التي يرفعها بطل الملحمة للإله شمش ليحظى مشروع تخطـّية للمتناهي برضى الإله ودعمه فيقول كلكامش[[1]](#endnote-1):

"في مدينتي، يموت الرجل كسير القلب

يفنى الرجل حزين الفؤاد

أنظر من فوق السّور

فأرى الأجساد الميتة طافية في النهر

وأرى أنـّي سأغدو مثلها»

1. يعد هذا الخطاب الذي يرفعه كلكامش للإله شمش شاهداعلى ولادة ما يسمّيه هيغل بـ "الوعي الشقيّ"، وهو الوعي التناقضي بإمكانات الحرية المنطوية التي تدركها الروح من جهة، ومعوقات نشرها أو تحققها على أرض الواقع من جهة ثانية ، ونسمع في النص قبضة عصبية تدقّ أبواب المكان المغلق مرموزاً بالسّور، كما تدق أبواب الزمان المغلق مرموزاً بالجثث ترسم في طوافها الأجل المحدود والمصير المحتوم. وحين يسأل إله العدل كلكامش عن السبب الذي يدفعه إلى السفر الطويل إلى أرض لم تطأها قدم إنسان بعد، يجادل كلكامش الإله من موقع ندٍ مدافعاً عن حقـّه في غزو الأرض الوحشيّة بسؤال هو الأبلغ يوجّهه إلى الإله شمش [[2]](#endnote-2):

"إذا كان ما أحاوله مُحالاً فلماذا حرّكت في قلبي الرغبة الحقيقية "؟

وتعيد والدة كلكامش صياغة السؤال نفسه في كلمات مختلفة:

"لماذا وهبت ابني قلباً قلقاُ واليوم قد حفـّزته فمضى في رحلة طويلة إلى موطن خمبابا"؟

3- يحمل هذا الجدال بعدا فلسفيا عميقا والتي تؤلف بين الإنسان والاله، الأب والابن، ذلك أن كلكامش يسند حق الروح في الانعتاق من أسر الزمان والمكان وتناهي الإنسان لرغبة زرعها الاله في القلب أو لقلب قلق هو من خلق الاله، فلا يستطيع الاله بالتالي أن يقف موقف اللامبالاة تجاه خلقه، كما أن الإنسان لا يستطيع إلاّ أن يستجيب لنداء إلهي يهتف في أعماق نفسه ويدفع به إلى تخطـّي تناهيه ، إن محاولة كلكامش قهر الموت الذي يقهر البشر تثير الإعجاب بما تتضمنه من جهد جبّار يفرضه الروح القوي على جسد تروّضه الإدارة وتدفعه إلى المضيّ، رغم فسوة الترحال ونضوب الطاقة، عبر «ممرّات الجبال» وفوق «مياه الموت» والصحارى التي تجلدها الشمس، ليحاور الإله شمس مرة أخرى على أرض جنينة شبيهة بالجنة الموصوفة في الكتاب السماويّ، حيث الأشجار تتألق بشتّى أنواع الجواهر ، والحوار المتجدّد بين الإله الأب وكلكامش الابن يضع البعد الفلسفي في شخصية كلكامش في دائرة الضوء أكثر من قبل.

يخاطب شمش مريده كلكامش، وقد فاجئه وصوله إلى ذلك المكان القصيّ (الذي يحدّده الباحثون بين عدن والبحرين)، بقوله:

"إلى أين تمضي يا كلكامش؟

وإلى أين تسعى بك قدماك؟

إنّ الحياة (الأبدية) التي تبحث عنها لن تجدها "

ويجيب جلجامش الإله إجابته الصوفية المثيرة:

"أبعد جري البراري، وتطوافي

أسند إلى باطن الأرض رأسي

وأنام السنين الآتية

لا.. دع عينيّ تحدّقان في الشمس

حتي يبهر الضياء عيني "

1. هذا الإصرار على عناق النور يستحضر قول أفلاطون «إنّ أعلى مراتب الحياة هي صعود الرّوح إلى الله بواسطة الشوق المسمّى بالحب». وبالعودة إلى هيغل المبهور هو الآخر بفكرة الروح المضيء، نقول إنّ إصرار كلكامش على التحديق في وجه الشمس حتى الانبهار يفضي بنا إلى مثال الروح الفلسفية الحرّة ماثلاً في إنسان يدركه الوعي بنور يصدر عن شمس تشرق داخله، وهذا النور الداخلي يسعى لملاقاة نظيره الإلهي الكوني مرموزاً بالإله شمش رب العدالة والحقيقة، وفي اللغة الصوفية "إنه النور يطلب الاتحاد بالنور "[[3]](#endnote-3).

4-من خلال هذه الملحمة كانت هناك دعوة صريحة لمحاربة الجهل والدعوة لنور العلم فقد افترض بعض فلاسفة التاريخ «أن الشخصية الشرقية بقيت مبهورة بالشمس الخارجية (الحسّيّة) في حين ان الشخصية الغربية التي تفتقر إلى شمس الشرق أطلقت شمسها من داخلها» ، لكن كلكامش البطل الرافديني الشاخص في النور هو الأول الذي أعلن في الألف الثاني ق.م، وباسم الإنسان الشامل، عن حق الإنسان في معرفة الحق والحقيقة الكليّة مرموزة بالشمس. ويحثـّه إلى التماشي مع الإله شمش نور يسطع من داخله مبدّداً ظلمة الجهل:

"فالظلمة تتراجع أمام النور المنتشر،

فهل يرى من ذاق الموت ضوء

الشمس أبداً؟".

5- يتضح ان كلكامش العاجز عن التصالح مع الشرط الإنساني، واندفاعه لتحقيق المحال، وهذه الرغبة في الخلود ليست حالة شاذة بقدر ما هي ذهنية سومرية ـ بابليّة ـ أشورية مجتمعه عامة تنعكس في مرايا الأساطير التي عرفتها شعوب بلاد ما بين النهرين مثل «أسطورة أدابا» ، الذي علـّمته الآلهة جميع العلوم، ولم تـُخف عنه من أسرارها إلاّ سرّ الحياة الأبدية التي لا تنتهي بالموت، و«أسطورة إينانا» و"أرض دلمون والعصر الذهبي" ، بل "إن ملحمة كلكامش ذاتها بنيت على قصص أقدم منها، أعيد سبكها في قالب جديد، وجمعت حول موضوع الموت" [[4]](#endnote-4)

ان الفكرة القائلة بأن الحياة الشخصيّة هي مسار تطوّري دائم هي فكرة غريبة عنه ، وهذا النمط يرى الحياة تسير تحت ظل مأساة راسخة تهدّد حياته الشخصية بوحشيّة من الخارج «أما الشخصية الفاوستيّة[[5]](#endnote-5)، النقيض، فإنها تعي نفسها كقوة تغالب العقبات، وتعي حياتها الداخلية مساراً تطوّرياً، أما كوارث الوجود فتجيء نتيجة حتميّة لخياراتها، أما الصراع فيعتبره الفاوستي جوهر الوجود، وما يميّزه كذلك هو شوقه إلى المطلق وسعيه نحوه"[[6]](#endnote-6) .

لو اننا عدنا واحتكمنا لمعايير شبنغلر[[7]](#endnote-7)، التي تخطّ حداً فاصلاً بين نمطين من البشر بل من الثقافة، يمكن القول إنّ كلكامش هو فاوستي يفارق ثقافته الأبولينية المشرقية[[8]](#endnote-8)، لكنه يعود ليلتقيها في النهاية بعد أن يتعلـّم بالعذاب أمثولة التصالح مع واقعه كبشر فانٍ ، ويعلن الروح الفاوستي عن حضوره في عزم كلكامش على غزو جبل حرمون، وقطع خشب الأرز الضروري لبناء المنازل والمعابد على أرض الرافدين، وقتل حارس الغابة الرامز للشر وتخليد الاسم بمأثرة بطوليّة. وعبثاً يحاول إله الشمس ووالدة كلكامش ثنيه عن عزمه بإظهار مخاطر الرحلة غير المسبوقة وما تستدعيه من عناء يفوق طاقة البشر، وهذا يعني أنّ البعد الفاوستي في شخصية كلكامش يؤسّس لسلـّم القيم البورجوازية الحديثة التي تحدّد قيمة الإنسان بالعمل والإنجاز، بالنجاح والشهرة، بالمبادرة إلى الفتح والتوسّع، وبالسيطرة على الطبيعة واستغلال موارد الأرض.[[9]](#endnote-9).

**احتفالية أكيتو وقصة اينوما ايلي ايش**

كان يُعتقد سابقا بأن تلاوة قصة خلق العالم البابلية "اينوما ايلي ابش" تتلى مرة واحدة في السنة وهي ضمن الإحتفال بعيد أكيتو (عيد رأس السنة البابلي)، بينما الكثير من العلماء اليوم بيّن بأن تلاوتها كانت تتم من قبل الكاهن نارو في اليوم الرابع من كل شهر أمام تمثال الإله مردوخ (بيل) في معبد ايساكيلا اذ كان لها أهمية آيديولوجية واجتماعية كبيرة، ولكن التلاوة الأهم تتم في اليوم الرابع من عيد أكيتو الذي كان يوافق اليوم الأول من السنة البابلية، ويحتفل به في 1 نيسان في العاصمة بابل بحضور الملك والشعب[[10]](#endnote-10).

أخذ هذا العيد السنوي في الألف الثاني قبل الميلاد، أي في العصر الآشوري الجديد والبابلي الجديد صبغة سياسية بحيث كان الملوك يستعملونه لدعم أفكارهم و سياستهم في المملكة، لأنّه كان يحدد السلطة ويتم فيه تثبيت دور كل العاملين في المملكة لمدة سنة كاملة ، وفي الألف الأول قبل الميلاد كان العيد يستمر 12 يومًا تقام فيه الطقوس المختلفة من صلوات وذبائح ونبوءات ودعوات، ومهرجانات إلهية وملوكية، طقوس الحروب بين الآلهة والزواج الطقسي من وجهة نظر لاهوتية فان عيد أكيتو كان يعتبر "التعبير الأهم والأكبر لديانة بلاد الرافدين"، ويتطلب الإحتفال به حضور شخصيتين مهمتين: الآله مردوخ والملك، كما ان غياب أحدهما كان يلغي الاحتفال لمدة 20 سنة كان الاحتفال ملغيًا بسبب نقل تمثال الآله مردوخ من بابل إلى اشور كغنيمة للحرب في 689 ق.م و يشهد ذلك بعض قوائم الملوك الآشوريين والبابليين،خلال الاحتفال الذي كان يمثل رمزيًا إعادة تنظيم الطبيعة والعالم، فإنّ تمثال مردوخ وابنه نابو يتم حملهما في شوارع المدينة، وفي الزوارق في الأنهر للوصول إلى بيت أكيتو[[11]](#endnote-11).

تتم تلاوة اينوما ايلي ايش في اليوم الرابع من العيد تمثل الموضوع الأكثر أهمية في العيد؛ لما لها من تاثير على مستوى لاهوتي ومستوى سياسي. فبخصوص البعد اللاهوتي، فإن اينوما ايلي ايش كانت تعتبر "كتابا مقدّسًا"، وكانت تلاوتها تعطي تفسيرًا دينيًا للخلق والتنظيم الكوني للعالم، واضافة إلى أنّها كانت تربط المختار المحبوب من قبل الآلهة، وممثل الآلهة الأرضي، أي الملك، مع القوى الكونية، مع السلطة الآلهية وبخاصة مع سلطة مردوخ العظمى. باعتبارها نصًّا مقدّسًا كان لها تاثير كبير حينما كانت تتلى في الأوقات المناسبة، خاصة في نيسان، اليوم الأول من السنة والأكثر تعظيمًا، يعتبر أيضًا عطلة رسمية في مملكة بابل و على مستوى سياسي كانت هذه الأسطورة تعطي القوة للبعد الاجتماعي للعاصمة وأهميتها؛ لأنها تعلن وتثبت تنظيم السلطة الملكية والكهنوتية لمدة سنة كاملة، بالإضافة إلى أنّ ملحمة اينوما ايلي ايش ترفع من شان الآله مردوخ وتثبته في قمة مجمع الالهة وتثبت بابل كمدينته وكمركز لبلاد الرافدين القديم[[12]](#endnote-12) .

كانت هناك بعض القواعد تؤخذ بنظر الاعتبار اثناء تلاوة اينوما ايلي ايش : في النصوص الطقسية التي إذ يجب على الكاهن (شيش كالو) تغطية تاج تمثال الآله انو وعرش تمثال الآله انليل، التي كانت عناصر للعبادة، وكذلك وجوه تماثيل سائر الآلهة ، تلك الرموز كانت تعبيرات عن سلطات إلهية في عالم الآلهة وعالم البشر، التاج يمثّل السماء من فوق والعرض يمثّل العالم الأرضي، عملية تغطية التماثيل توضح سلطة مردوخ في السماء، وعلى الأرض وفوق كل الآلهة، تغطية التماثيل يذكّر أيضًا بان النصر ضد تيامة يمثل تمجيد مردوخ. تلاوة اينوما ايلي ايش كانت أيضًا تهيئة لأهم حدث في اليوم التالي، أي اليوم الخامس من أكيتو، والتي تتعلق بملك بابل، مجد الخلائق وسبب لتعظيم مردوخ، يتم التعبير عنها في الأيام التالية للعيد[[13]](#endnote-13).

يعلن إله بابل في اليوم التالي من قراءة اينوما ايلي ايش مَن سيكون ممثله على الأرض، والذي هو ملك بابل، وبالاتفاق مع سائر الآلهة، ينظم كل أحداث السنة والتي كانت تتم في اليوم الثامن والحادي عشر للعيد. ويتم تحديد المعبد مسكن الآله مردوخ وبابل مركز إقامته في اليوم الأخير من العيد تُحمل تماثيل الآله مردوخ وابنه إلى بيت أكيتو (بيت الراحة) ، هذا العرض لأحداث العيد وتلاوة اينوما ايلي ايش كان من المحتمل أنه أثر على عقلية الشعب اليهودي أثناء فترة سبيهم الى بلاد بابل أو بعده بقليل والتي خلالها تمت كتابة التقليد الكهنوتي ومن ضمنها قصة خلق العالم تلك[[14]](#endnote-14) .

مضمون اينوما ايلي ايش(enu-ma eli-iŝ)

ان الألواح الطينية الأقدم التي وصلتنا تم اكتشافها من قبل العالم سميث في 1875 م في آشور، والتي تعود إلى مكتبة آشور بانيبال في نينوى والتي من الممكن ان تؤرخ الى 668 و 627 ق.م، والتي تم وضعها في المتحف البريطاني، بينما قطع أخرى تعود إلى مواقع مختلفة مثل كيش وسيبار تم اكتشافها ما بين 1924 و1929 م. النص المكتوب على سبعة الواح طينية في اللغة الأكدية يتكون من 1100 سطر،ممكن تقسيمها على سبعة أجزاء تعكس الموضوعات الأكثر أهمية[[15]](#endnote-15):

الجزء الأول: (1: 1-20)

يوضح هذا الجزء كيف كان العالم في بداية الخلق، الفوضى الأصلية، عندما لم يكن بعد لا السماء ولا الأرض "لم يكن لها بعد اسم". ويشرح ولادة الآلهة وتنظيم جماعة الآلهة (1: 1-8) ، وفي البداية يوجد فقط الثنائي الموَلِّد: آبسو "الماء الحلو" العنصر الذكري، وتيامة "الماء المالح، البحر" العنصر الأنثوي، اللذان كانا يمزجان مياههما، أي كانا يتزاوجا، مولدَين أجيال الآلهة الثنائي الثاني كان لخمو ولخامو، واللذان لم يكونا بالضرورة جنسيين وخصبين (1: 9-10) و بعد ذلك وُلِدت الآلهة الكبيرة وكان الثنائي الأول أنّ -شار و كي- شاركما ان أصل الاسمين هو سومري ويتكون من "آن" يعني سماء، ومن "كي" يعني أرض ومن "شار" يعني الكل، اي المعنى النهائي للاسمين هو "سماء كلية وأرض كلية" (1: 11-13) وفي النهاية ظهرت جميع الآلهة الأخرى في المجمع الالهي على شكل أربعة أجيال، كما نراه في ولادة انو، البكر، والذي خلق على صورته إيا، المعروف أيضًا كما موضح في الاسطر(1: 14-20)[[16]](#endnote-16).

تبدأ الأزمة الأولى في جماعة الآلهة في الجزء الثاني من القصة (1: 21-76) ، سببها الصراع ما بين الآلهة الشابة وأعضاء من جماعة الآلهة الكبار من العائلة نفسها، هذه الأزمة كانت تهدد مجتمع الآلهة قبل أن يصل إلى الأجيال الأخيرة (1: 21-54) ، تم حلّ الأزمة من قبل غيا الذي قتل عبسو وحوله إلى مكان مقدس (معبد)، موضع لقصره (1: 55-76 )[[17]](#endnote-17).

يتم سرد ولادة مهمّة في الجزء الثالث (1: 77-104) في المعبد الجديد: الإله إيا والآلهة دامكينا يلدان مردوخ، بطل القصيدة كلها، الأكثر ذكاءً وحكمةً من الجميع، السيد الذي رضع حليبًا من النهد الإلهي، فحصل على آلوهية خاصة وأصبح شمس البانثيون اي مجمع الالهة، في حين ان الجزء الرابع (1: 105-3: 138) تبدأ الأزمة الثانية: سببها لعب مردوخ الشاب وما سببه من إزعاج لتيامة (1: 105-124)، ولذلك تعلن الآلهة تيامة حرب كونية ضد جماعة الآلهة (1: 125-2: 4). هذه الجماعة شعرت بالخوف الرهيب، ولذلك أُخبر الإله إيا بالأمر (2: 5-114) الذي رأى في الإله مردوخ الوحيد الذي يستطيع حلّ الأزمة. وافق على تحرير الآلهة من خطر تيامة، ولكنّ قبل القضاء عليها يشترط على الإله في حالة انتصاره أن يعطوه بموافقة الجميع (3: 1-138) السلطة القصوى (2: 115-150). في الجزء الخامس (4: 1-134) بعد أن استلم السلطة، ومن ضمنها سلطة الكلمة، تم إعطائه لقب المنتقم؛ لأنه سوف يخلّص حياة الذين وثقوا به، عُرِف أيضّا باسم الملك الحق (4: 1-134). المعركة تنتهي بانتصاره والذي من خلاله خلّص جماعة الآلهة من خطر تيامة (4: 35- 134 )[[18]](#endnote-18).

في الجزء السادس (4: 135-6: 69) الإله الأكبر بعد انتصاره على تيامة يخلق العالم من جسدها، الذي حوّله إلى مكان: يشطرها كالمحارة ومن جسدها يخلق العالم: النصف العلوي قبة السماء والنصف السفلي الأرض (4: 135-139). من الرأس يخرج الجبال، بينما الذيل يحافظ على توازن وثبات العالم والأرض التي تطفو فوق المياه الحلوة آبسو الذي كان ايا قد حوّله إلى مكان ،بعد ذلك قام بتنظيم الجزء العلوي، السماء: بنى معبد-قصر كبير، المسمى إشارا "معبد كوني" خاص للآلهة الكبار (4: 143-146) والذي كان محلّ إقامتهم. ثم حدّد سماء الوقت، أي السنة والأشهر الاثنا عشر، ولكل واحد وضع ثلاثة نجوم وثبّت الجزء القطبي لتحديد تناغم النجوم ومنعها من ارتكاب أخطاء. قام مردوخ أيضّا بتثبيت الأجزاء العليا للسماء وجعل القمر "نانا" الذي سلمه الليل، جوهرة الليل، لتحديد الأيام وأعياد بداية الشهر من خلال دوران قرصه بالتناغم مع شمش (5: 1-25)، بعد تعظيمه الأول من قبل الآلهة (5: 77-116)، استمر الخلق على الأرض مع بناء قصرٍ آخر، معبد على مستوى آبسو الموجود تحت الأرض وعلى مستوى الاشارا في السماء، الذي جعل من بابل مركز العالم ومحل إقامة مردوخ (5: 117-128). وبعد ذلك تم تحديد معاون للآلهة، الإنسان "إبداع جديد" ولد من ذكاء مردوخ (6: 1-38). في هذا الجزء الانتروبولوجي يتم توضيح هدف مؤلف قصة الخلق: توزيع مسؤولية وعظمة عمل الخلق الأخير بين إيا ومردوخ [[19]](#endnote-19).

يتم اختيار بابل مركز العالم ومسكن للآلهة في الجزء الأخير، السابع (6: 70-7: 162) وتقوم الآلهة باعلان مردوخ ملك الآلهة واعطائه 50 لقبًا تركّز على أنّه إله الآلهة ، هذه الاحتفالية الإلهية تتم في معبد ايسا- كيلا في بابل بحضور كل الآلهة: مردوخ السيد الأكبر أعطى بعضًا من سلطته لمساعديه، كل واحد في مكانه المحدد له (6: 99-118). قائمة الخمسين اسمًا المعطاة لمردوخ من قبل الآلهة (6: 119-7: 142) تمثّل دستورًا منتظمًا "لاهوتيًا" مماثل لما تم سرده في القصة على شكل أسطورة وكانت توضّح "عظمة شخصية مردوخ وعمله" (7: 143-162)، ولهذا فان القصة تعتبر قصة تمجيد مردوخ أكثر مما هي قصة لخلق العالم[[20]](#endnote-20).

اسطورة الاله نركال والالهة ايريشكيكال:

النص الرافديني يخبرنا إن نركال يهبط مرتين إلى العالم الأسفل؛ في المرة الأولى ينام مع إريشكيجال ثم يغادرها قبل أن تستيقظ عائداً إلى العالم الأسفل، وفي المرة الثانية يهبط ليبقى هناك على الدوام زوجاً لها، بما أننا نعتقد أن الكاتب المصري لم ينقل النص الرافديني الذي كان بين يديه كاملاً بل توقف قبل نهايته، فإننا سنتحول فيما يلي إلى النص الرافديني الآخر الذي وصلتنا عنه نسختان من موقع أوروك وموقع سلطان تيبه لنتابع بقية الأحداث فيه[[21]](#endnote-21):

مضت للاستحمام واتشحت بثوب جميل؛

تركته يخطف نظرات على جسدها،

فثارت في نفسه الرغبة لأن يمارس معها ما يفعله الرجال والنساء.

تعانق الاثنان وذهبا بتوق إلى السرير؛

اضطجعا في السرير، إرَّا والملكة إريشكيجال ليوم وثانٍ.

اضطجعا هناك، إرَّا والملكة إريشكيجال، ليوم ثالث ورابع.

اضطجعا هناك، إرَّا والملكة إريشكيجال. ليوم خامس وسادس.

في اليوم السابع ينسل إرَّا ( نركال) من السرير و إريشكيجال نائمة، ويتوجه نحو بوابة العالم الأسفل:

مضى نركال إلى حارس البوابة وقال له:

"سيدتك إريشكيجال أرسلتني؛

قالت إني سأرسلك إلى سماء آنو أبينا"

ثم اتخذ طريقه عبر سُلَّم السماء.

وعندما وصل إلى بوابة آنو وإنليل وإيا،

رآه آنو وإنليل وإيا:

"ها قد وصل ابن عشتار! إن إريشكيجال سوف تبحث عنه،

فعلى إيا أبيه أن يرشه بماء النبع،

ويجلس في مجمع الآلهة حاسي الرأس يرمش ويرتعش".

في السطرين الأخيرين من هذا المقطع هنالك إشارة إلى طقس سحري خاص يقوم به الإله إيا لتغيير هيئة إرَّا فلا يتعرف عليه رسول إريشكيجال إذا جاء في طلبه أما إريشكيجال فتستيقظ وتنادي نمتار[[22]](#endnote-22):

"عليك أن ترش الغرفة بماء … …

عليك أن ترش الغرفة بماء … …

إن رسول آنو أبينا، الذي جاء لرؤيتنا

سوف يأكل من خبزنا وسوف يشرب من مائنا.

ففتح نمتار فمه وقال لسيدته إريشكيجال":

"إن رسول آنو آبينا الذي جاء لرؤيتنا

قد اختفى قبل طلوع النهار"

صرخت إريشكيجال بصوتٍ عالٍ،

سقطت عن عرشها متفجعةً إلى الأرض،

ثم نهضت ودموعها تنثال على خديها:

"إرَّا يا حبيب البهجة؛

لم أنل مسرتي منه كاملةً حتى مضى"

ففتح نمتار فمه وقال لإريشكيجال:

"أرسليني إلى آنو أبيك لأقبض على ذلك الإله.

دعيني آتي به إليك، حتى يقبلك ثانيةً".

ففتحت إريشكيجال فمها وقالت لنمتار:

"امض يا نمتار، عليك أن تتحدث إلى آنو وإنليل وإيا.

يمم وجهك شطر بوابة آنو وإنليل وإيا وقل لهم:

«عندما كنت صغيرةً وطفلة لم ألعب مثل الفتيات،

لا ولم أعرف لهو الأطفال.

ذلك الإله الذي أرسلتموه إلي وضاجعني،

أعيدوه لي فينام معي ثانيةً؛

أرسلوا ذلك الإله إلينا، فيمضي الليالي معي حبيباً.

فإذا لم تعيدوا إليَّ ذلك الإله،

فإني وفق شعائر إركارا والأرض العظيمة،

سوف أبعث الأموات وأرسلهم ليأكلوا الأحياء،

وأجعل عدد الموتى يربو على عدد الأحياء.

صعد نمتار سُلّم السماء الطويل،

وعندما وصل إلى بوابة آنو وإنليل وإيا،

رآه آنو وإنليل وإيا، وقالوا له:

"ما الذي جئت من أجله يا نمتار؟

ابنتكم أرسلتني لأقول" لكم:

عندما كنت طفلة صغيرة لم ألعب مثل الفتيات،

لا ولم أعرف لهو الأطفال.

ذلك الإله الذي أرسلتموه وضاجعني،

أعيدوه لي فينام معي ثانيةً؛

أرسلوا ذلك الإله إلينا، فيمضي معي الليالي حبيباً.

فإذا لم تعيدوا إليّ ذلك الإله،

فإني سوف أبعث الأموات وأرسلهم ليأكلوا الأحياء

وأجعل عدد الموتى يربو على عدد الأحياء”

فتح إيا فمه وقال لنمتار:

“ادخل يا نمتار قاعة آنو،

وابحث بنفسك عن المذنب”

كل الآلهة كانوا راكعين باحترامٍ أمامه.

قام نمتار بفحص الآلهة واحداً واحداً ولكنه لم يعثر على نركال بينهم، على الرغم من أنه رأى إلهاً لا يعرفه يعي حاسي الرأس وهو يرمش ويرتجف ، فعاد إلى سيدته:[[23]](#endnote-23)

“بخصوص المهمة التي أرسلتني بها إلى سماء آنو أبيك،

لم أعثر يا سيدتي إلا على إله يجلس حاسي الرأس وهو يرمش ويرتعش”.

“عد ثانيةً واحضر ذلك الإله إليّ.

إن أباه إيا قد نضحه بماء النبع،

وهو يجلس في مجمع الآلهة حاسي الرأس يرمش ويرتعش “.

مضى نمتار عبر سُلّم السماء الطويل،

وعندما وصل بوابة آنو وإنليل وإيا،

رآه آنو وإنليل وإيا وقالوا له:

“ما الذي جئت من أجله يا نمتار؟ “

“لأقول أمسكوا ذلك الإله وأحضروه إلي”.

«ادخل يا نمتار قاعة آنو فابحث بنفسك عن المذنب وخذه»

تحرك نحو الإله الأول وتفحصه، ولكنه لم يتعرف على ضالته،

فتركة إلى الإله الثاني وتفحصه، ولكنه لم يتعرف على ضالته،

فتركه إلى الإله الثالث وتفحصه، ولكنه لم يتعرف على ضالته.

عندها فتح… فمه وقال لإيا:

“دعوا نمتار الرسول الذي جاء إلينا

يشرب من مائنا ويمسح نفسه بالعطر”

يلي ذلك كسر يحتوي على 15 سطراً مفقودة، يليها 15 سطراً مشوهة نفهم منها أن نمتار عثر أخيراً على نركال وتعاطف معه بأن أعطاه تعليمات عن طريقة عبوره بوابات العالم الأسفل، وتعامله مع حراس بواباته[[24]](#endnote-24):

أنصت إرَّا إلى ما قاله له نمتار،

فدهن وتره بالزيت وشد قوسه

ثم مضى نركال عبر سلّم السماء الطويل.

وعندما وصل بوابة إريشكيجال قال[[25]](#endnote-25):

يا حارس البوابة افتح بوابتك لي

ثم صرع أرضاً نيدو حارس البوابة الأولى ولم يدعه يمسك به

ثم صرع أرضاً حارس البوابة الثانية ولم يدعه يمسك به

ثم صرع أرضاً حارس البوابة الثالثة ولم يدعه يمسك به

ثم صرع أرضاً حارس البوابة الرابعة ولم يدعه يمسك به

ثم صرع أرضاً حارس البوابة الخامسة ولم يدعه يمسك به

ثم صرع أرضاً حارس البوابة السادسة ولم يدعه يمسك به

ثم صرع أرضاً حارس البوابة السابعة ولم يدعه يمسك به

ثم دخل قاعتها الفسيحة ومضى إليها ضاحكاً

أمسك بها من شعرها وجرها عن عرشها ممسكاً بجدائلها

تعانق الاثنان وتوجها بتوق إلى السرير.

اضطجعا في السرير، إرَّا والملكة إريشكيجال، ليوم وثانٍ.

اضطجعا هناك، إرَّا والملكة إريشكيجال، ليوم ثالث ورابع.

اضطجعا هنا، إرَّا والملكة إريشكيجال، ليوم خامس وسادس.

وعندما حل اليوم السابع فتح آنو فمه

وقال لوزيره، كاكا:

"يا كاكا، إني لمرسلك إلى كور نو كَي

مسكن إريشكيجال التي تسكن في الإركالا،

لتقول لها: إن الإله الذي أرسلته إليك

]سيبقى عندك إلى الأبد[

عند هذه النقطة ينكسر اللوح نحو نهاية القصة، والكسرة المفقودة تحتوي نحو 25 سطراً ناقصاً.

**الخلاصة :**

حملت لنا النتاجات الادبية لسكان بلاد الرافدين الكثير من القيم الاجتماعية المهمة ومن اهم هذه القيم هو العمق الفلسفي عن الحياة والموت وموقف الإنسان من الآلهة، وسعيه للحصول على الخلد، كما نشأ أدب التعليم والتهذيب والحكمة نثرًا وشعرًا وهو غني بالنّصائح والقِيَم والذي تجلى بصورة واضحة من خلال قصة الخليقة وملحمة كلكامش ونتاجات ادبية اخرى ، اكدت لنا تلك النتاجات والافكار اهمية العمل الصالح للإنسان بعد اوضحت ان الخلود للإلهة ولا يخلد الانسام الا عمله الصالح وانجازاتها الملموسة في الواقع ،وقد عبر الادب العراقي القديم من خلال الاسطورة عن البعد الفكري للإنسان وحرصه على تخليد بعض الطقوس والشعائر التي تركت اثرا بارزا وهاما في فكره ومنها طقوس الخصب ونزول المطر وقصة الخلق التي حرص على تلاوتها سنويا ضمن احتفالات اعياد السنة ،كما ان النتاجات الادبية قد اوضحت لنا عمق العلاقات الاجتماعية والمشاعر الصادقة التي انعكست بين انكيدوا وكلكامش وعمق علاقاتهم الودية والتي كانت دافعا له للسعي وبكل اصرار وارادة باحثا في رحلته عن الخلود ومحاولته لقهر الموت الذي افقده صديقه وهنا يظهر جانب الصدق والاخلاص في تلك العلاقة التي جمعتهم .كما بينت لنا تلك النتاجات اهمية اسم الانسان والحرص على منحه لكل شخص لا نه يعرف من خلاله وتجسد ذلك من خلال الاسماء والالقاب التي منحت للإله مردوخ بعد انتصاره على تيامة في قصة الخليقة البابلية ، وبهذا نستطيع القول بأن كل سطر كتبه الاديب العراقي القديم حمل معه العديد من القيم والمعاني التي كانت شائعة في المجتمع آنذاك .

**الهوامش:**

1. 1--توركيلد جاكوبسون وآخرون: ما قبل الفلسفة، ترجمة: جبرا إبراهيم جبرا، بغداد، 960 [↑](#endnote-ref-1)
2. برتراند رسل: تاريخ الفلسفة الغربية، ج3،2015، ص304 2- [↑](#endnote-ref-2)
3. -هيغل،فلسفة التاريخ عند هيغل،1770-1830،ص176-190، [↑](#endnote-ref-3)
4. 4- أحمد صبحي: في فلسفة التاريخ،2015، ص204 [↑](#endnote-ref-4)
5. 5-الاوروبية نسبة لرائعة غوتة الالماني فاوست و التي لها جذورها التاريخية في المخيال الجماعي الاوروبي , نسبة لرائعة غوته الألماني فاوست حيث تبرز النفس الفاوستية المتطلعة للخلود الذي يقودها إلى الفراغ اللامتناهي انظر :

   فاوست، يوهان فولفغانغ فون غوته، ترجمة عبد الرحمن بدوي، أعمال خالدة، دمشق، 1998. [↑](#endnote-ref-5)
6. - صموئيل نوح: الاساطير السومرية، ترجمة يوسف داود، بغداد،1971،ص123 6 [↑](#endnote-ref-6)
7. 7 - شبينغلر :مؤرخ وفيلسوف ألماني شملت اهتماماته أيضاً الرياضيات والعلم والفن. يعرف بكتابه "انحدار الغرب" (بالألمانية: Der Untergang des Abendlandes)، وترجم كتابه إلى اللغة العربية بعنوان تدهور الحضارة الغربية الذي يعرض نظرية عن سقوط وازدهار الحضارات وأن ذلك يتم بشكل دوري، ويغطي كل تاريخ العالم وقدم نظرية جديدة جعل فيها عمر الحضارات محدوداً وأن مصيرها إلى الأفول ، ولعله تأثر بما كتبه ابن خلدون في هذا المجال للمزيد راجع:

   8- Pettinato, Das Altorient Alische, Menschenbild und Akkadischen, schopfun Gs

   Mythen& Srikanta Sastri, Oswald Spengler on Indian Culture. [↑](#endnote-ref-7)
8. 8- ابولو كان اله الشعر والفن والموسيقى والطب والضوء والنظام، وعموما، اله الانسجام في العالم. هو اُعتبر رمزا للجمال التام والسيطرة الذاتية والتقدم والتوازن والسلام والعقلانية والتفكير المنطقي والاعتدال والسلوك طبقا للقواعد المتعارف عليها. الموقف الابولي يُعبّر عنه باقوال ونصائح معبد ابولو: "اطع القانون" "فكّر كشخص معرّض للفناء" "سيطر على نفسك" "سيطر على الغضب" تمسّك بالانضباط" "سيطر على العين" "اعمل باستمرار في انسجام". بالمقابل، دايونسين كان اله الطبيعة الخارجية، حارس الفحولة وقوى الخصوبة، رمزا لاسلوب الحياة الخليعة، الخمر، النشوة الدينية، الحماقة، العواطف، الانفعال، الحيوية، الغرائز، واللاعقلانية. طبقا لنيتشة هو يمثل القوة الديناميكية لإعطاء الحياة، قوة تنتهك جميع العوائق والقيود التي يضعها القانون، وتحطم كل اشكال الانسجام للمزيد راجع :نيتشه،ميلاد التراجيديا من روح الموسيقى،ص21 [↑](#endnote-ref-8)
9. 9-انظر: عبدالرحمن بدوي: موسوعة الفلسفة، ج2، ص571 [↑](#endnote-ref-9)
10. -النعيمي،راجحة ،الاعياد والاحتفالات في بلاد الرافدين ،2012،ص107 [↑](#endnote-ref-10)
11. وانظر كذلك : النعيمي ، راجحة ، المصدر السابق ، رأفت الشيخ: فلسفة التاريخ، ص144 11- [↑](#endnote-ref-11)
12. 12-ربنيه لابات، المعتقدات الدينية، ترجمة: البيربونا، بغداد، 1988، ص32 [↑](#endnote-ref-12)
13. - Ellade, M., Myth and Reality, London, 1963, P.18-19. [↑](#endnote-ref-13)
14. -Gurney, "Two Gilgamesh Fragments", JCS, 8, 1954, P.29 ffز [↑](#endnote-ref-14)
15. - Kramer S.N., "Hilgamesh and Agga", AJA, Vol.53, N.1, P.3 ff. [↑](#endnote-ref-15)
16. 15- صموئيل نوح كريمر، من الواح سومر، ترجمة: طه باقر، بغداد، القاهرة، 1957، ص181- [↑](#endnote-ref-16)
17. 35 -صموئيل نوح كريمر، صموئيل نوح كريمر، الأساطير السومرية، ترجمة: يوسف داود عبد القادر، بغداد، 1971- [↑](#endnote-ref-17)
18. 18-Lambet W., Millard A., Atrahasis The Babylonian Story of the Flood, Oxford, 1969. [↑](#endnote-ref-18)
19. 19--جان بوتيرو: بلاد الرافدين- الكتابة- العقل الالهة، ترجمة: البير ابونا، مرجعة: د. وليد الجادر، بغداد، 1990،ص165 [↑](#endnote-ref-19)
20. 20- Kramer S.V., " Man and his god", VTS, Vol.3 , P.175. [↑](#endnote-ref-20)
21. 21- السواح،فراس: الاسطورة والمعنى( دراسات في الميثولوجيا، والديانات المشرقية)

    ط ٢،دمشق ،منشورات علاء الدين ،2001،ص35 [↑](#endnote-ref-21)
22. ،ص187 22--صموئيل نوح كريمر، صموئيل نوح كريمر المصدر السابق بغداد، 1971 [↑](#endnote-ref-22)
23. - كريمر، صموئيل نوح: اساطير العالم القديم، تر: احمد عبد الحميد يوسف، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ،1974،ص105 [↑](#endnote-ref-23)
24. 24-السواح، فراس : كلكامش، منشو ا رت دار علاء الدين، سورية، ٢٠٠٢ م، ط2 [↑](#endnote-ref-24)
25. 25- السحري،محمد الطاهر،رحلة في عالم الاساطير السومرية ،ط1،الجزائر،2007،ص212

    **قائمة بالمصادر العربية المعتمدة في البحث**:

    أحمد صبحي: في فلسفة التاريخ،2015

    برتراند رسل: تاريخ الفلسفة الغربية، ج3،2015

    توركيلد جاكوبسون وآخرون: ما قبل الفلسفة، ترجمة: جبرا إبراهيم جبرا، بغداد، 1960

    جان بوتيرو: بلاد الرافدين- الكتابة- العقل الالهة، ترجمة: البير ابونا، مرجعة: د. وليد الجادر، بغداد،1990

    رأفت الشيخ: فلسفة التاريخ،

    ربنيه لابات، المعتقدات الدينية، ترجمة: البيربونا، بغداد، 1988

    سواح، فراس : كلكامش، منشو ا رت دار علاء الدين، سورية، ٢٠٠٢ م، ط2

    سواح،فراس: الاسطورة والمعنى( دراسات في الميثولوجيا، والديانات المشرقية، ط ٢،دمشق ،منشورات علاء الدين ،2001

    سحري،محمد الطاهر،رحلة في عالم الاساطير السومرية ،ط1،الجزائر،2007

    صموئيل نوح كريمر، صموئيل نوح كريمر، الأساطير السومرية، ترجمة: يوسف داود عبد القادر، بغداد، 1971

    صموئيل نوح كريمر، من الواح سومر، ترجمة: طه باقر، بغداد، القاهر ،1957

    صموئيل نوح: الاساطير السومرية، ترجمة يوسف داود، بغداد،1971

    عبدالرحمن بدوي: موسوعة الفلسفة،ح2،1984

    فاوست، يوهان فولفغانغ فون غوته، ترجمة عبد الرحمن بدوي، أعمال خالدة، دمشق، 1998

    نعيمي،راجحة ،الاعياد والاحتفالات في بلاد الرافدين ،2012

    16-نيتشه،ميلاد التراجيديا من روح الموسيقى،2014

    17-هيغل،فلسفة التاريخ عند هيغل،1770-

    **قائمة بالمصادر الاجنبية المعتمد في البحث** :

    Ellade, M., Myth and Reality, London, 1963

    Gurney, "Two Gilgamesh Fragments", JCS, 8, 1954,.

    Kramer S.V., " Man and his god", VTS, Vol.3

    Kramer S.N., "Hilgamesh and Agga", AJA, Vol.53

    Lambet W., Millard A., Atrahasis The Babylonian Story of the Flood, Oxford, 1969.

    Mythen& Srikanta Sastri, Oswald Spengler on Indian Culture

    Pettinato, Das Altorient Alische, Menschenbild und Akkadischen, schopfun Gs.

    **Conclusion**   
     Moreover, The literary productions of the people of Mesopotamia brought us many important social values. The most important of these values ​​is the philosophic depth of life and death, the position of man on the gods, his quest for the mole, and the literature of education, The story of creation and the epic of Gilgamesh and other literary productions, these products and ideas confirmed to us the importance of good work for man after explained that the immortality of the goddess does not celebrate the only good work and tangible achievements in fact, has been through the ancient Iraqi literature through the myth of the dimension The literary works have shown us the depth of the social relations and the sincere feelings that were reflected between Enkidua and Gilgamesh and the depth of the story, Their friendly relations, which motivated him to seek and with all determination and the will of a researcher in his journey from immortality and his attempt to conquer the death that his friend lost and here shows the aspect of honesty and sincerity in the relationship that brought them together, Through which he was known and reflected through the names and titles given to God Murdokh after his victory over Tiama in the story of the Babylonian creation, and thus we can say that each line written by the old Iraqi writer carried with him many of the values ​​and meanings that were common in the community at the time. [↑](#endnote-ref-25)